تحليل الخطاب النقدي لمجموعة "أرض البرتقال الحزين" (على أساس المنهج النقدي لنورمان فيركلف)

Analysis of the dominant discourse of the novel "Land of Sad Oranges" (Based on Norman Fairclough's critical approach

عبدالوحيد نويدي [1*]

ودانا طالب بور [2]

[1.] أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران.
a.v.navidi@scu.ac.ir
[2.] خريج الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران.

تاريخ الإيداع: 2023/11/12	تاريخ القبول: 2024/12/28	تاريخ النشر: 2025/03/15

ملخص

وقعت دولة فلسطين بسبب موقعها الاستراتيجي، في براثن المستعمرين المعتدين منذ سنوات طويلة. لذلك فإن دور أدباء المقاومة لهذا البلد في الدفاع عن الحقوق الوطنية المفقودة لأبنائه كبير جدا، ومن الشخصيات المشهورة في الأدب الفلسطيني غسان كنفاني الذي كرس حياته للدفاع عن الوطن الفلسطيني المظلوم ومثله وقيمه العليا ، ورسم أجواء حياتهم الخانقة والحزينة. ومن أهم أنجازته رواية "أرض البرتقال الحزين" التي صورت تهجير الشعب الفلسطيني المظلوم ومشاكله، بما في ذلك الفقر والفساد والفجوة الطبقية الناجمة عن زحف اليهود الصهاينة على هذا البلد. يهدف المقال هذا إلى اكتشاف وتحديد المستويات الخطابية والدلالية المخفية في هذا العمل مستخدما الأسلوب الوصفي التحليل معتمدا على مكونات تحليل الخطاب النقدي لنورمان فيركلف. ومن أهم النتائج التي توصل إليها المقال هو أن الكاتب باستخدام اللغة الواقعية والطلاقة والسلسة، تمكَّن من تقديم إيديولوجياته وخطاباته بطريقة فعالة وعملية في تصوير آلام ومعاناة واضطهاد الأمة الفلسطينية، وأنه قادرًا على التواصل بشكل جيد بين النص وسياقه، كما أن كفناني نفسه هو أحد المشاركين في الرواية وله دور فاعل فيها بهدف التشكيك في الهياكل الاجتماعية كعلاقات قوة باستخدام وساطة

[*]Abdol vahid Navidi. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. A.v.navidi@scu.ac.ir.

المعرفة السياقية، كما نرى بوضوح أن سلطة الخطابات الرسمية فعالة جدًا في إعادة إنتاج الخطابات من قبل بعض شخصيات القصة وتأثيرات القوة في أداء الخطابات وأفعالها.

الكلمات المفتاحية: غسان كنفاني،أرض البرتقال الحزين، فلسطين، نورمان فيركلف، تحليل الخطاب النقدي.

Abstract

Because of its strategic location, the State of Palestine fell into the clutches of the aggressive colonialists many years ago. Therefore, the role of the writers of the resistance to this country in defending the lost national rights of its children is very great. Among the famous personalities in Palestinian literature is Ghassan Kanafani, who devoted his life to defending the oppressed Palestinian homeland, its ideals and its highest values, and drawing the suffocating and sad atmosphere of their lives. One of his most important achievements is the novel "Land of the Sad Orange", which depicts the displacement of the oppressed Palestinian people and their problems, including poverty, corruption and the class gap resulting from the encroachment of the Zionist Jews on this country. This article aims to discover and identify the hidden discursive and semantic levels in this work using the descriptive analysis method based on the components of Norman Fairclough's critical discourse analysis. Among the most important findings of the article is that the writer, using realistic, fluent and smooth language, was able to present his ideologies and discourses in an effective and practical manner in portraying the pain, suffering and oppression of the Palestinian nation, and that he is able to communicate well between the text and its context. Kafanani himself is one of the participants in the novel and has an active role in it with the aim of questioning social structures as power relations using the mediation of contextual knowledge, as we clearly see that the authority of official discourses is very effective in reproducing discourses by some of the characters of the story and the influences of power in the performance of discourses and their actions.

key words: Ghassan Kanfani The Land of sad Oranges, Palestine, Norman Fairclough , Discourse Analysis

1. المقدمة

من أجل فهم الرواية المعاصرة بشكل أفضل وإيلاء الاهتمام لطبقاتها الأساسية في السياق العام للنص، نحتاج إلى تحليلها بناء على أنماط التحليل المستهدفة. لذلك ظهر في العالم العربي كتّاب بارزون، متأثرين بأحداث بيئتهم المحيطة، وبدأوا في إنشاء أعمال سردية غير قليلة، عكست بشكل جيد الظروف السياسية والاجتماعية لعصرهم. من الكتاب البارزين والملتزمين في الأدب الفلسطيني غسنان كنفاني الذي ألف العديد من الروايات والقصص القصيرة في مجال تاريخ الوضع السياسي والاجتماعي لفلسطين والمصائب

التي حلت بها، وخطى أشواطا كبيرة في مجال تقنيات كتابة الرواية. ومن أشهر أعماله مجموعة "أرض البرتقال الحزين" التي تصور بوضوح التاريخ الاجتماعي والسياسي لفلسطين ومآسيها وأحداثها. في هذه المقالة، نهدف إلى كشف طبقاتها الدلالية مستخدمين المنهج الوصفي التحليلي بناءً على نظرية نورمان فيركلف لتحليل الخطاب النقدي محاولين الإجابة عن الأسئلة التالية:

1 .ما هي الخطابات السائدة في الرواية على أساس نظرية فيركلف ؟

2. كيف تتوافق البنى المختلفة للمستويات الثلاثة (مستوى الوصف و مستوى التفسير و مستوى الشرح) في الرواية ومفاهيم الكاتب الأيديولوجية؟

1-2. خلفية البحث

هناك الكثير من البحوث التى نشرت فيما يمت بصلة إلى حقل تحليل الخطاب النقدي منها:

1- مقال "دراسة رواية الصبار لسحر خليفة بناء على نظرية تحليل الخطاب النقدي لفيركلف " لنسرين عباسي وآخرون ، هذا المقال نشر في مجلة نقد الأدب العربي المعاصر سنة 2013.
2- مقال "تحليل الخطاب السائد في رواية سووشون لسيمين دانشور" لحسين علي قبادي وآخرون والذي نشر في مجلة النقد الأدبي سنة 2018م.
3- مقال "دراسة قصة يوسف (عليه السلام) بناءً على نظرية تحليل الخطاب النقدي لنورمان فيركلف " لمهين حاجي زادة وآخرون والذي نشر في مجلة البحوث الأدبية القرآنية سنة 2017م.
4- "تحليل الخطاب النقدي لرباعية الخسوف على أساس نظرية نورمان فيركلف " لجاسم إبراهيمي وآخرون والذي نشر في مجلة النقد الأدب العربي المعاصر سنة 2018.

أما فيما يتعلق بأعمال غسان كنفاني فقد أجريت حتى الآن أبحاث عدة منها:

1- رسالة "التحليل البنيوي لشخصيات مجموعة أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني بناء على نظرية الفعل لجريماس" لشيوا كرمي، جامعة كوردستان سنة 2014. في هذه الدراسة، حللت الكاتبة القصص السبع القصيرة لهذه المجموعة بناءً على نظرية جريماس.
2- رسالة " النقد الاجتماعي للقصص القصيرة العربية والفارسية المعاصرة (مجموعتي القصصية" موت سرير رقم 12 " و"أرض البرتقال الحزين"لغسان كنفاني ومجموعة القصص" لا يفهم لغة العاشق إلا العاشق" بقلم قاسم علي فروست" لبروين خليلي ، جامعة إيلام ، 2014. في هذه الدراسة، قام المؤلف بعد تقديم مقدمة عن التاريخ السياسي والاجتماعي لإيران وفلسطين ومسار كتابة القصص فيها، بدراسة وتحليل وفحص أهم موضوعات هذه الأعمال بناءً معتمدا على النهج التاريخي للنقد السوسيولوجي للأعمال الأدبية ونظرياته

3- رسالة "البنيّة السرديّة في قصة أرض البرتقال الحزين" لرونق لعيفاوي ، جامعة محمد بوضياف ، 2018. يناقش المؤلف في هذه المقالة أسلوب القصة، منها: أنواع الزمان والمكان والشخصية في الرواية.
4- مقالة: "الزمن والموضوع في سرد أرض البرتقال الحزين" لحسن گودرزى لمراسكي ، مجلة أدب المقاومة بكرمان ، 2012) درس المؤلف فيها أنواع الزمن بناءً على نظرية جيرار جينيت.
5- مقال "الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني "لهيام عبد الكاظم ابراهيم ، مجلة التربيه. درس المؤلف فيه أنواع الشخصيات في قصص كنفاني ، بما في ذلك شخصية المحب، والمتمرد، والمخلص، وشخصية الطفل الفلسطيني، والمقاتل الفلسطيني، شخصية اليهود الصهاينة.
6- مقال "آليات السرد في مجموعة قصص" أرض البرتقال الحزين " لغسان كنفاني لمنال بوستة، مجلة جامعة بسكرة ، 2018. درست فيه المؤلفة طرق السرد في جوانب الشخصية والزمان والمكان في الرواية.
7- مقال "بناء المكان في المجموعة القصصية "أرض البرتقال الحزين" لغسان كنفاني "لبورقبة خالد وآخرون ، جامعة أم البواقي ، 2019) يستعرض المؤلفون أنواع المكان
8- رسالة "الصراع النفسي في قصة أرض البرتقال الحزين لغسان كنفاني (دراسة تحليلية نفسية)" للطفي بيون سوهار، جامعة مولانا حسن الدين ، 2019. كما يشير العنوان فقد قام المؤلف بتحليل الصراع النفسي في الشخصيات وانعكاسها في محتوى القصة.

بناء على ما جاء في أسبقية البحث لم نعثر فى المواقع الإلكترونية أو المجلات العلمية على ما يمت بصلة بتحليل الخطاب النقدي على أساس نظرية نرومان فيركلف ، ويعتبر هذا البحث مستقلا وقائما بذاتها وجديدا في نوعه ويحاول تسليط الضوء على ما يكمن وراء أسطر الرواية من مقاصد، مع الاستفادة من بعض البحوث السابقة.

2. الإطار النظري للبحث

2-1. تحليل الخطاب النقدي لفيركلف

تحليل الخطاب النقدي هو نوع من تحليل الخطاب يظهر من خلال الكتابة والكلام في سياق اجتماعي وسياسي محدد أو يقف ضده[1]. يعتقد المنهج النقدي أن الافتراضات الضمنية أو غير المذكورة لها أصل إيديولوجي يذكر في الخطاب وتلعب دورا هاما في تحديد موقع الناس كفاعلين اجتماعيين . يهدف تحليل الخطاب إلى دراسة النظام والترتيب النصي للعناصر اللغوية. لذلك فهو يدرس الوحدات اللغوية مثل النصوص الشفوية أو المكتوبة، ويتعامل تحليل الخطاب مع استخدام اللغة في المجالات الاجتماعية، خاصة مع التفاعلات أو المحادثات بين المتحدثين.[2]

من بين الأساليب المتاحة في تحليل الخطاب، يعتبر منهج نورمان فيركلف منهجا مناسبا لدراسة النصوص، كما يعتقد بعض الباحثين، "نظرية فيركلف من أكثر النظريات والأساليب توثيقًا للبحث في مجال الاتصال والثقافة والمجتمع"[3]

يسمي فيركلف منهجه بالدراسة النقدية للغة ، والهدف الأول - وهو نظري أكثر منه عمليا - هو المساعدة في تصحيح النقص الواسع في الاهتمام بأهمية اللغة في الإنتاج والحفاظ على علاقات القوة الاجتماعية وتغييرها ، والهدف الثاني، - وهو عملي أكثر منه نظريا - هو المساعدة في زيادة الوعي بكيفية تأثير اللغة على قوة البعض على الآخرين.[4] . ووفقًا لمنهجه ، فإن اللغة فعل اجتماعي، ومن المهم جدًا الانتباه إلى السياق الذي تُستخدم فيه اللغة، واللغة هي عملية اجتماعية تنطوي على ثلاثة معانٍ: 1- اللغة جزء من المجتمع. 2- اللغة عملية اجتماعية. 3- اللغة عملية اجتماعية مشروطة[5]. يفحص تحليل الخطاب النقدي لفيركلف النص على ثلاثة مستويات:

2-1-1.مستوى الوصف

يتعامل هذا المستوى مع الخصائص الشكلية للغة مثل المفردات والقواعد والتركيبات النصية.[6] وفي هذا المستوى يجب الإجابة عن الأسئلة التالية: ما علاقات المعنى المهمة إيديولوجيًا (الترادف ، والاشتمال، والتضاد) القائمة بين الكلمات؟ ما أنواع القيم (الخبراتية والعلائقية، والتعبيرية) التي تتسم بها الكلمات؟ هل توجد في النص ألفاظ واضحة الانتماء للأسلوب الرسمي أو غير الرسمي؟ ما الاستعارات المستعملة؟ هل الجمل مبنية للمعلوم أم المجهول؟ هل الجمل موجبة أم منفية؟ ما الصيغ المستعملة (صيغة الإخبار أم السؤال النحوي أم فعل الأمر)؟ هل تستخدم ضمائر المتكلم و المخاطب (منفصلة ومتصلة) و كيف تستخدم؟"[7]

2-1-2. مستوى التفسير

التفسير هي مزيج من محتويات النص نفسه وعقلية المفسر.[8] ومعنى عقلية المفسر هو الخلفية المعرفية التي يستخدمها في تفسير النص. من وجهة نظر المفسر، فإن السمات الظاهرة للنص هي في الواقع أدلة تنشط عناصر المعرفة الخلفية لعقل المفسر. وسيكون نتاج الاتصال الديالكتيكي لهذه القرائن ومعرفة خلفية المفسر. في هذا القسم، يتم طرح الأسئلة الأساسية التالية:

ما هي تفسيرات سياق الموقف من قبل المشاركين في الخطاب؟ ما هو دور اللغة في تطوير القصة؟ وما هو النص المتناص؟، وما هو جوهر النص الأكثر أهمية؟ ما نوع (أو أنواع) الخطاب؟ هل ستكون إجابات المشاركين المختلفين على السؤالين 1 و 2 مختلفة؟ هل ستتغير هذه الأسئلة أثناء تفاعلهم؟[9]

2-1-3. مستوى الشرح

الشرح هو المرحلة التي تتناول العلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي؛ أي كيف تتأثر عمليات الإنتاج والتفسير بالمجتمع؟ في هذا المستوى ، يشرح سبب إنتاج مثل هذا النص من بين الإمكانيات المسموح بها في تلك اللغة لإنتاج نص فيما يتعلق بعلم الاجتماع والتاريخ والخطاب والأيديولوجيا والسلطة والتقاليد والمعرفة الثقافية للمجتمع. الغرض من الشرح هو وصف الخطاب كجزء من عملية اجتماعية من خلال وصف الخطاب بأنه فعل اجتماعي، فإنه يوضح كيف تحدد الهياكل الاجتماعية (العلاقات المستقرة بين أفراد المجتمع) الخطاب؟ في المقابل ، ما تأثيرات الخطابات في إعادة إنتاج هذه الهياكل أو تغييرها؟ الأسئلة الأساسية في مرحلة التبيين: ما نوع علاقات القوة الفعالة في تشكيل هذا الخطاب على مختلف المستويات المؤسسية والاجتماعية والظرفية؟

ما هي عناصر المعرفة الخلفية المستخدمة والتي لها خصائص أيديولوجية؟ ما هي آثار موقف هذا الخطاب فيما يتعلق بالنضالات على مختلف المستويات المؤسسية والاجتماعية والظرفية؟ هل هذه المعارك علنية؟ أم سرية؟ هل الخطاب المذكور معياري أم إبداعي؟ هل تعمل على الحفاظ على علاقات القوة الحالية أم تعمل على تغييرها؟[10] فيما يلي سوف ندرس ونحلل مجموعة "أرض البرتقال الحزين" في ثلاثة مستويات من الوصف والتفسير والتبيين.

3 .الإطار التحليلي للرواية

1-3. دراسة الرواية في مستوى الوصف

يُدرَس في هذا المستوى أهم جوانب المستوى الوصفي للكلمات والألفاظ على المستوى اللغوي وعلاقات المعنى(الاشتمال والتضاد) والصيغ وأنواع الضمائر والأفعال والاستعارية المستعملة.

1-1-3. المستوى اللغوي

نظرا إلى أن هذه الرواية واقعية فأنها تتطلب أن تكون لغتها بسيطة سهلة بعيدة عن أي غموض وتعقيد وإبهام، لأنها تتمحور حول أهم القضايا الفلسطينية أي الحرب والتشرد والتهجير وتدهور الأوضاع العامة، لذلك من الضروري أن يصف الكاتب الروايات والأحداث بلغة سهلة غير مزخرفة بعيدة عن العبارات المتكلفة. على الرغم من أن الشخصيات الموجودة في الرواية تكون تحت سيطرة الآخرين وتواجه العديد من الصعوبات والمشاكل نازحة عن بلادها وتعيش في المنفي، إلا أنها تتحدث مع بعضها البعض بلغة رسمية، بحيث لا توجد أي كلمة عامية في قصص هذه الرواية. تتوافق بنية الجمل مع اللغة المعيارية الرسمية، والسبب ربما يعود إلى أدبهم الخاص والاحترام الذي يكنون للمشاركين للحفاظ على أعراضهم

وشؤون الآخرين.[11] يعتبر المنظرون المتخصصون في الخطاب النقدي استخدام الأدب أو اللغة الرسمية أداة قدرة وسلطة، معتقدين بأن أصحاب السلطة يستخدمون في خطاباتهم اللغة الرسمية ويجبرون الطرف الآخر على قبول الخطاب تحت قوانينهم غير المكتوبة. من هذا المنطلق، يعتبرون الشخص الذي لا يتمتع بالأدب الرسمي شخصا لايستسلم أمام قبول خطاب السلطة.رغم ذلك، قد نرى في بعض القصص أن بعض الرؤساء والأشخاص الرفيعوا المستوى يستخدمون ألفاظا وكلمات بذيئة في مخاطبتهم للأشخاص الذين يكونون دون مستواهم. على سبيل المثال، استخدام الشرطي الصهيوني لفظ (الخنزير) في خطابه لعلي في قصة (أبعد من الحدود) عندما يعبر عما يجيش في صدره في هذه المعركة النفسية: «أم تراني عُدتُ لأن كلمتك الأخيرة التي سمعتها وأنا أثب من النافذة، وكانت آخر ما سمعت منك ما تزال تنخر في رأسي كالمثقب كلمة ناشفة انهمرت ورائي وأنا أقفز: الخنزير.. امسكوه»![12] فاستخدام لفظة (الخنزير) يدل دلالة صريحة على ما يعيشه الشعب الفلسطيني من إرهاق وظلم وانتهاك الحقوق الوطنية الطبيعية بأيدي الأجانب الذين سيطروا على الشعب الفلسطيني المظلوم.

3-1-2. علاقات المعنى الأساسية للألفاظ

3-1-2-1. الاشتمال

الاشتمال هو "أن يكون معنى كلمة ما مُشتَمَلا عليه في معنى كلمة أخرى"[13]. يعتقد فيركلف أن أحد جوانب تحديد القيمة الخبراتية للكلمات هو الكشف عن علاقات المعنى الموجود في النصوص وتحديد أسسه الأيديولوجية. على سبيل المثال، في قصة (أبعد من الحدود) والتي تتمحور حول التحاور بين مفتش إسرائيلي وبطل فلسطيني شاب هارب، أنشأ المؤلف علاقة اشتمال و ترادف بين بعض الكلمات، وخلق سلسلة دلالية خاصة من خلال التضافر والترابط بينها؛ الأمر الذي ينم عن الأيديولوجيا الخاصة بالمؤلف، لذلك ، وفقًا للقيمة الخبراتية بين هذه الكلمات، يمكن فهم ما يكمن في نص القصة من معنى ودلالة. : «فَأنا لَستُ صَوتاً انتخابياً، وأنا لَستُ مُواطِنا بأيّ شَكل من الأشكال وأنا لَستُ مُنحدراً من صُلب دولةٍ تُسأل بين الفينةِ والأخرَى عن أخبارِ رُعاياها.. وأنا مَمنوعٌ من حقّ الاحتجاجِ ومن حقّ الصُراخ، فماذا ستربح؟ لا شيء ... وماذا ستخسر إذا بقيتُ أنا وراءَ المِزلاج؟»[14]

استخدام كلمات مثل (صوت) و(مواطن) و(صلب الدولة) و(الاحتجاج) و(الصراخ) يدل دلالة واضحة على نقل أيديولوجيا المؤلف الخاصة، أي: جهوده للحفاظ على الهوية الوطنية في الأرض الغريبة وعدم بيعها للأجانب. كما نرى فأن معنى كلمة (الصراخ) أوسع وأشمل من معنى كلمة (الاحتجاج)، وذلك لأن معنى كلمة صراخ تحتوي أيضًا على معنى كلمة الاحتجاج. حقوق كـ(حق الاختيار) و(التمتع بالجنسية الوطنية) و(الانتماء إلى الحزب الحكومي) و(حق الاحتجاج) و(حق الصراخ) من جملة حقوق المواطنة التي قد سلبت من الشخص المقبوض عليه الذي استسلم أمام أوامر الغاصبين استسلاما تاما. عندما يجد الشاب نفسه

مهضوما من هذه الحقوق، يشعر بالغربة ويحاول استعادة هويته المنتهكة المفقودة. وهذا الشخص يعتقد "أشد أتعاب الإنسان بعد فقدان الوطن، هو انعدام الأمن والهياج والتشوش)[15] هم يريدون أن يسقطوا من الشخص الفلسطيني جنسيته وحياته، لكنه يؤمن بأن الوطن ليس يباع. يشير المؤلف في هذه القصة بشكل غيرمباشر إلى أنه يجب على الفلسطينيين، الصمود أمام متطلبات الصهاينة الغاصبين ويمهدوا الطريق لحرية وطنهم في شكل استعادة الهوية. وتكرار فعل النفي (لستُ) يؤكد على هذا الإصرار. كما نلاحظ أن الكلمات المستعملة تظهر بوضوح آثار عملية الإنتاج والتفاعل بين اللغة والمجتمع، والتضاد الدلالي بين فعلي (تخسر) و(تربح) يجسد شدة العذاب النفسي وأتعاب المتشرد الفلسطيني واضطراب جسده وروحه وفكره، بحيث إنه لتنفيذ الوعود الخلابة أو المهددة للقوات الصهيونية يتعرض لازدواجية الهوية: هل الأفضل أن يبقى مواطنا أم أن يغتال؟ لكنه في النهاية يختار الاغتيال.

4-1-2-1. التضاد

التضاد هو "التعارض في المعنى،أى أن معنى إحدى الكلمات يتعارض مع معنى كلمة أخرى"[16] في هذه الرواية، يعد التقابل بين الموت والحياة أحد الأنواع الريسية للقصة. والموت جزء من الحياة وعنصر مكون للوجود، ويعتبر كنفاني الموت بداية كفاح قوي دفاعا عن الشعب الفلسطيني. لقد أقام تلاحما وانسجاما جميلا بين الموت والحياة، وبإمكاننا مشاهدة هذا التقابل في قصة (الأخضر والأحمر) من هذه المجموعة، حيث يكون دم كل شهيد بداية ولادة مقاتل فلسطيني يصبح منشأ ثورة جديدة. في هذه القصة (الأخضر) هو رمز للحياة و(الأحمر) رمز للدماء التى تكون مقدمة للنصر، والتي تراق على الأرض لإحياء القيم المثالية مثل الدفاع عن الوطن وقضايا الأجيال القادمة. ويصرخ كنفاني بالموت الواهب للحياة والأمل في الحياة والأبدية ويحرضهم على الصمود أمام الاعتداءات القاسية والظالمة التى يرتكبها الأعداء، ويحافظ على بصيص الأمل في مستقبل مشرق ومتحرر في قلوبهم، بعبارة أخرى يسعى إزالة الموت والعدم والفناء واليأس من وجود مواطنيه وتبشيرهم بحياة أبدية عزيزة: «لم تكن عنده مقدرة شمّ الموت كما كانت عنده قدرة إحساس الحياة ... وقالوا لها مرة إن هذا خطأ مهلك وإن الحياة لا قيمة لها قطّ إن لم تكن، دائما، واقفة قبالة الموت.. ولكنه لم يكن يبالي.. بينه.... وبينه وبين الموت ما بين تراب أيار والجفاف.... لقد أحس بالحياه تتسرب من جسده وبات احساسه بالموت صلبا وكبيرا ولكنه لم يشا أن يقع فتجالد واضعا كفيه فوق وجهه..الا ان الموت كان قد وصل»[17]

ومن أمثلة أخرى للتقابل بين الحياة والموت، يمكن الإشارة إلى موت الفلسطينيين في المنفى، بعيدين عن عائلاتهم وأقاربهم، الأمر الذي يضاعف بدوره إلى معاناة الاغتراب في قلوبهم وأرواحهم ويزيد من أحزانهم وآلامهم النفسية. ففي قصة (الأفق وراء البوابة) عندما استشهدت دلال أخت علي الصغرى على يد قوات الاحتلال اليهودية، يعتبرها الكاتب عامل واعدا واهبا للحياة لأمها العجوز التي سيطر عليها اليأس

والقنوط والارتباك نتيجة أوضاع فلسطين السيئة. ويعبر المؤلف هنا من خلال خلق التناقض بين "الموت" و "الحياة"، عن فكره الرمزي حول الظروف المعيشية للفلسطينيين ، ويصبح الموت فى فكره رمزًا لأي نوع من الفوضى ، والفراغ ، واليأس ويتحول إلى نقطة معاكسة ونقيضة للحياة التي هي مظهر من مظاهر النمو، والصحوة ، والسلام ، وانتظام الوضع في الحياة: «دلال في البيت، هي التي تعطي المرأة العجوز نكهة الحياة حين يكون الموت في الجوار، وهي التي تعني الحياة كلها حين تعني الأشياء كلها الموت»[18]

2-2-1-4. القيم العلائقية للمعالم النحوية

تتسم النصوص بمعالم نحوية منوعة ذوات قيم علائقية، وسوف أركز هنا على ثلاثة معالم هي صيغ الجملة ، نوع الأفعال والضمائر.

الصيغ الرئيسية ثلاثة: صيغة الجملة الخبرية ، والسؤال النحوى ، وصيغة فعل الأمر.[19] يعتقد فرشيدورد وشريعت أن الصيغة يمكن أن تشير إلى الإخبار أو الاحتمال أو التمني أو التأكيد أو الأمل، وبعض المفاهيم الأخرى.[20] فيمكن تقسيم الصيغة إلى أنواع مختلفة مثل الإخبارية، والاستفهامية، و الأمرية، و الشرطية.

أما بالنسبة إلى الرواية المدروسة فيمكن القول بأن معظم الصيغ المستخدمة فيها هي صيغة الإخبار. يروي الكاتب أحداث القصة في الزمن الماضي أو الزمن المستقبل ولذلک يستخدم صيغة الإخبار التي تدل على حتمية أحداث القصة وتمثيل الحقائق. على سبيل المثال، في قصة (قتيل في الموصل)، يصور كنفاني حالة الأشخاص الذين ينخرطون في أعمال غير لائقة ، وذلك بسبب ضغوط الحياة الصعبة، مثلا؛ إنهم يسرقون، بل يستخدمون أدوات وأشياء الموتى ناهبين. حيث يرى غسان ، بعد استشهاد صديقه "معروف"، ساعته في أيدي الآخرين، والتي تم بيعها: «ولقد تيسَّرَ لصديقه بعد يومينِ أن يرى ساعته وقلمه مع موظَّف قال أنه اشتراها، أما جسد مَعرُوف فلقد دفنَ فى حفرةٍ واحدةٍ مع أجساد كثيرة اضطجعت كما قال الحفار كتفا إلى كتف...»[21]

وشغلت صيغة الاستفهام مرتبة ثانية بعد صيغة الإخبار، وتعود كثرة الاستفهامات إلى عدة أسباب: أولاً: جلب انتباه المخاطب؛ ثانيًا: أن تصير أحداث الرواية قضايا مركزية لكى يُوجَّهُ الجمهورُ إلى عمق أفكار ومشاعر الشخصيات في مواجهة الأحداث والأفعال الكلامية والسلوكية في المجتمع؛ ثالثًا: إبراز النص الخطابي بحيث تتجه أذهان القراء نحو الرسائل الممكنة في النص. لذلك فإن الغرض من هذه الأسئلة هو الحوار بين الشخصيات أو حدوث شكوك حول أحداث الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، أو استكمال عناصر القصة والإجابة عن الأسئلة الناتجة عن المونولوجات الذهنية للمؤلف مع نفسه، والتي قد تطرأ في ذهن القارئ وتطور المسار السردي للقصة. على سبيل المثال، في قصة "أرض البرتقال الحزين" في جزء من القصة التي ترتبط بأحداث ما بعد الهجرة من صيدا، يسأل المؤلف نفسه عن مصدر المال الذي قدمه

والد الطفل لأسرته لتغطية نفقات المعيشة ويجيب عنه: «فكان لا بدّ من مصدر آخر: هل استدان شيئاً؟ هل باع شيئاً آخر أخرجه معه دون أن نراه؟ إنني لا أدري، ولكنني أذكر أننا قد انتقلنا إلى قرية في ضواحي صيدا»[22] كما نرى أن المؤلف يطرح سؤالاً في مكان كان ينوي فيه أن يجعل المخاطب يفكر في الحقائق الموجودة.

جاءت صيغة الأمر أيضًا بكثير في هذه القصة، وتستعمل هذه الصيغة ذوو السلطة بما في ذلك الصهاينة والقوى الموازية الأخرى في القصة ، ومخاطبهم هنا هو اللاجئون الفلسطينيون، كما يمكن رؤية هذه الصيغة أيضًا في خطابات الرجل تجاه زوجته وأولاده. وبهذه الطريقة ينوي المؤلف أن ينقل سلطته وأيديولوجيته إلى الجمهور ويدعوهم إلى طاعته: «يجب أن نسكت عندما يتكلم الأب عن مشاكله، ونهزَّ رؤوسنا باسمين عندما يقول لنا: «اصعدوا الجبل ولا تعودوا إلّا في الظهر...» [23]

والنموذج الآخر النص التالي، حيث يعبر الراوي عما يطلبه السلطات المحتلة من تلبية نواياها المشؤومة وهي إسقاط الهوية العربية الفلسطينية من الفلسطينيين وإغواهم بقدر طفيف من الأموال التي تجذبهم إليهم، فيشاهد سلطة الخطاب الأعلى على الأدنى بما يشاهد في الجمل التالية من استخدام صيغ الأمر:

«إضرب المخيمات! اسْجنْ بعضَ اللاجئينَ، بل كلهم إنْ استطعْتَ! أَعْطِ مُواطنيكَ دَرساً قاسياً دونَ أنْ تُؤذيهِمْ..» [24]

3-2-1-4. نوع الأفعال المستخدمة في الرواية

استخدم المؤلف في روايته الأفعال المبنية للمعلوم كثيرا وكما نعلم أن فاعل هذا النوع من الأفعال معلوم "كون فاعل الأفعال والأعمال معلوما يزيد من قدرة الجمهور على اتخاذ القرار لاستخلاص استنتاجات أفضل ويوفر المقدمات الأساسية لفهم النص"[25]

في بعض الحالات نرى الكاتب يستخدم الأفعال المبنية للمجهول، والسبب في ذلك عدم أهمية ذكر الفاعل وأهمية المفعول به في الجملة. على سبيل المثال، في قصة "السلاح المحرم"، عندما يتذكر أبو علي البندقية التي سرقها من جندي، ينشأ في قلبه نور الأمل لقتل الوحوش البرية، وبالتالي، ينسى معاناة ومصاعب القرويين الذين لم ينجح سعيهم في إبعادها، ولذلك ليس هناك أهمية لذكر الفاعل بل ما يهم هنا هو المفعول وعمل القتل. لهذا حذف فاعل الفعل وحل المفعول محله: "سيطلق رصاصة واحدة حين يبدو الشبح المخيف، ولن نخاف الخروج إلى الحديقة الجرداء حين تتكاثر الضباع، كما حدث في الشتاء الماضي" [26]

والنموذج الآخر لهذا النوع من الاستخدام يلاحظ في أول قصة المجموعة المسماة بأبعد من الحدود عندما افتتح الراوي قصته بحكاية عن دخول الرجل الهام بيته: «صعد الرجل الهامّ الدرجات القليلة إلى بيته فُتِح له الباب، ألقى محفظته الجلدية فوق الطاولة، قبل زوجته، نظر إلى طفله النائم في الحرير الأزرق....» [27]

والنموذج الآخر يشاهد في قصة «قتيل في الموصل» عندما يتحدّث الراوي عن قتل معروف بأيدي البغاة الأجانب الذين يهجمون على الشعب المظلوم بلا هوادة ولا إرفاق ويهدرون بدماء آلاف أناس من بينهم معروف الشاب الأردني:

«وأما جسد معروف فقد دفن في حفرة واحدة مع أجساد كثيرة اضطجعت كما قال الحفار كتفا إلى كتف.» [28]

4-1-2-4. توظيف الضمائر

استخدم المؤلف أنواعًا مختلفة من الضمائر في هذه الرواية. في بعض القصص ، يتم استخدام ضمائر الغياب، وفي حالات أخرى ، يتم استخدام ضمائر التكلم المفرد أو الجمع. ويشير استخدام ضمائر الجمع إلى الروح الجماعية وخلق الوحدة والهوية.

في هذه الرواية ، يتم استخدام ضمائر التكلم المفرد بكثيرو هذا النوع من الضمائر يشير إلى الفردية كما أنه يعبر عن تورط الكاتب في أحداث القصة. على سبيل المثال، يتم استخدام هذا الضمير في قصة "أرض البرتقال الحزين": «كنتُ أقف متكئا بظهري على حائط البيت العتيق عندما رأيت أمك تصعد إلى السيارة ثمّ خالتك ثم الصِغار وأخذ أبوك يقذف بك وبأخوتك إلى السيارة وفوق الأمتعة ثم انتشلني من زاويتي ورفعني فوق رأسه إلى القفص الحديد» [29]

يعتقد بعض الباحثين أن "تواتر ضمائر التكلم يدل على وجود العلاقة الحميمة بين الشخصيات كما أنه طريقة لتقريب القارئ إلى جو الرواية. بالإضافة إلى ذلك، يدل استخدام ضمير المتكلم المفرد إلى جانب ضميرالتكلم الجماعي، على وجود مساحة هرمية في المجتمع، وعادةً ما تُستخدم ضمائر الجمع للإشارة إلى كبار المسؤولين وتُستخدم ضمائر المفرد للإشارة إلى حالة الأشخاص العاديين أو تكون علامة على وجود علاقة بين متفوق – متدنى" [30] كما يتضح ذلک في طريقة التعامل بين الشخصية الهاربة وضابط الأمن في قصة «أبعد من الحدود» الذي يخاطبه بكلمة "الخنزير": "يا سيدي أنا، أيتها الخنزير البائس .. أنا آسف لذلك؟" [31]

5-1-2-5. الاستعارة المستعملة

الاستعارة هي "وسيلة لتمثيل جانب من جوانب الخبرة في صورة جانب آخر، وليست مقصورة إطلاقا على نوع الخطاب الذي ترتبط به نمطيا، أي الشعر والخطاب الأدبي. ولكن أى جانب من جوانب الخبرة يمكن تمثيله من خلال أي عدد من الاستعارات، والذي يهمنا هنا بصفة خاصة هو العلاقة بين الاستعارات وبدائلها، إذ إن الاستعارات المختلفة لها روابط أيديولوجية مختلفة.[32]

تظهر نظرة عامة على سياق القصة أن الكلمات والمفردات تحمل في طياتها معاني ودلالات عديدة ويمكن تحليلها بطرق مختلفة بحيث تملك جميع الألفاظ قيما خبراتية وتعبيرية وتدل على هوية وخبرة ما. أول ما يلفت انتباه القاري في الرواية ويدعوه لقراءة مضمون الرواية هو عنوانها. أطلق الراوي على أرضه اسم "البرتقال الحزين". "البرتقال هو رمز للخصوبة"[33] البرتقالة المجففة في هذه المجموعة تصور حياة عائلة فلسطينية تعيش في المنفى وفي عالم قاسٍ عيشة برتقالة قطعت من غصنها. ويربط كنفاني هذه البرتقالة بتلك العائلة ليعبر عن مدى انتماء الشخصية الفلسطينية لوطنها: «ونزل أبوك من جانب السائق ومدَّ كفّه، فحمل برتقالة منها، أخذ ينظر إليها بصمت ثمَّ انفجر يبكي».[34] يعتقد كنفاني أن هذه البرتقالة مرز للشخصية الفلسطينية. بالإضافة إلى ذلك، فإن القصص الأخرى لهذه المجموعة كلها رمز للموضوع الرواية الرئيسي ورمز لتجارب المقاومة لتحقيق السلام والهدوء. على سبيل المثال: قصص «أبعد من الحدود»، و«الأفق وراء البوابة»، و«ثلاث أوراق من فلسطين: ورقة من الرملة، ورقة من الطيرة، ورقة من غزة»، كلها تشير إلى الأماكن التي يعيش فيها الفلسطينيون تحت ركام الاحتلال والهزيمة المخزية ".[35]

ففي قصة "ورقة من غزة" التي تركز بشكل عام على صورة الآثار الضارة التي سببتها الحملة العدوانية لليهود الصهاينة على غزة، يقارن المؤلف غزة بالوضع المثالي لحياة صديقه مصطفى الذي هاجر إلى كاليفورنيا: : "سأخلف هذه الغزة ورائي، وسأمضي إلى كاليفورنيا أعِيشُ لِذاتي الَّتي تعذَّبت طويلاً، إنني أكره غزة ومن في غزة: كل شيء في البلد المقطوع يذكرني بلوحات فاشلة رسمها بالدهان الرَّماديّ إنسان مريض، نعم، لقد كنتُ أُرسِلُ لأمِّي ولأرملة أخي وأولادها مبالغ ضئيلة تعيشُهم على الحياة... هناك فى كاليفورنيا الخضراء البعيدة عن رائحة الهزيمة التي تزكم أنفي منذ سبع سنواتٍ... ما هذا الشيء الغامضُ الذي كان يربِطنا إلى غزة فيحدُّ من حماسنا إلى الهروب؟»[36] وفي صورة أخرى، بعد مرور عام واحد يصف غزة على هذا النحو: «وجدتُ غزة كما تعهدها تماما انغلاقاً كأنَّه غلاف داخلي، ملتفٌّ على نفسه، لقوقعة صدئة قذفها الموج إلى الشاطئ الرمليّ اللزجِ قربَ المَسلَخ، غزة هذه أضيقُ من نَفس نائم أصابه كابوس مريع، بأزقتها الضيقة، ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر... »[37]

هنا ، تتجلى وجهة نظر المؤلف الأيديولوجية للاختلاف بين غزة وكاليفورنيا في التضاد الدلالي: (غزة ≠ كاليفورنيا) و(أعيش لذاتي ≠ تعذبت طويلا) و(كاليفورنيا الخضراء البعيدة عن رائحة الهزيمة ≠ غزة هذه أضيقُ من نَفس نائم أصابه كابوس مريع... رائحة الهزيمة والفقر)، كلها تشير إلى وجود الفجوة بين المجتمع

المثالي والوضع الحالي في مسقط رأسه غزة. في هذه القصة، تكون للكلمات قيمة خبراتية من حيث الشكل، لأنها تعبر عن تجربة منتج النص كراو أو مؤلف من العالم الطبيعي أو الاجتماعي. والشعور الذي يحاول الراوي أو المؤلف نقله إلى المخاطب، يشكل الخبرة التي يتأثر هو بها ويعيشها؛ أي تصوير الحزن والاضطراب والفراغ واليأس في بلد فقير تمزقه الحرب، كما هو واضح، هناك علاقات تضاد دلالي أيديولوج بين الكلمات التي أشيرَ إليها، كما تكون هناك قيم علائقية وتعبيرية بين خصائص النص الشكلية، وذلك لأنها تعبر كل العلاقات الاجتماعية للفاعلين وهوياتهم.

توظيف حرف التشبيه (كأنّ) وتكرار كلمة (غزة) يؤكدان على الوضع الفوضوي والمتأزم في عزة، بهذه الطريقة، يريد المؤلف التعبير عن شدة كراهيته للعودة إلى وطنه. غزة مدينة بلا روح رسمها شخص مريض. استخدم المؤلف لتجسيد الأوضاع المتأزمة، نفس الكلمات التي عاشها وعانى منها هو نفسه. والاختناق في غزة شديد لدرجة أنه لا يستطيع تحمله ، ولكى يصور هذا الوضع الشاذ والمتأزم بشكل أكثر واقعية للمخاطب، فهو يرسمها مثل غلاف داخلي ، ملفوفة على نفسه، ومثل قشور صدئة تتطاير عليها الأمواج على الشاطئ الرملي اللزج، بلد غزة - كما يعتقد كنفاني - هو أضيق من نفس شخص نائم مصاب بكابوس رهيب، فالتراكيب (لوحات فاشلة) و(الدهان الرمادي) و(إنسان مريض) لها قيمة استعارية أيديولوجيا تتناسب كلها مع عنوان المجموعة وتتمحور حول معاني اليأس والقنوط والتوتر والاضطراب.

من بين الأمثلة الأخرى للاستعارات التي تصور وجهة نظر المؤلف الأيديولوجية بشكل جيد، الاستخدام المجازي للحيوانات في وصف بعض الشخصيات الوضيعة في القصة. «الاستعارات الحيوانية هي وسيلة ترسم السمات البشرية السيئة»[38] ومن الأمثلة على ذلك، استخدام كلمة (الضباع) في قصة (السلاح المحرَّم): «وترسل الضباع عوائها الحادّ في صمت القرية باعثة فيها الرعب»[39]

في هذه القصة، تمثل الضباع الصهاينة الخادعين الذين ينتظرون ليلا ليأخذوا الدفء و السعادة من منزل أبي علي وينوون الاستفادة من صمت المجتمع العربي وأخذ النوم والسلام من المجتمع الفلسطيني وتحديداً من أبي علي.

النموذج الآخر عن هذا المضمون، توظيف كلمة (ديدان) في قصة (قتيل في الموصل): «لَسوف يحدث شيءٌ خطير... إنَّهم يَحشدون أنفُسَهم كالديدان، ينحشرون في الفنادق كما لو أنَّهم تداعوا لحشر أرضي، خرجوا من كلِّ ثقوبهم وجاؤوا إلى بغداد... »[40]

فـ(الديدان) هنا تشير إلى الأعداء الهمجيين الذين يتسرَّبون في كل أرض ومكان، واستخدام كلمة (فنادق) يؤكد هذا المعنى بوضوح. الفندق هو رمز للفلسطينيين الذين يبتعدون عن منازلهم وتشريدهم في كل أرجاء العالم.

مثال آخر على هذا هو استعارة (الصراصير) التي استخدمت للإذلال والاستخفاف: «أ رأيت الصراصير كيف تتحكّم بمصير «أخيل»؟ إنها تلدغه في كعب قدمه.. وهو لا يموت إلا من هناك.. إن الصراصير وحدها قادرة على قتل «أخيل» يا للسخافة»[41] عبارة (كعب قدمه) هنا استعارة عن لنقطة حساسة يستطيع الأعداء أن يوقعوا ضربة على أخيل ويلقوه على الأرض باستهداف هده النقطة.

استخدام الاستعارات في قصص هذه المجموعة يدل على الظروف غير الطبيعية السائدة على المجتمعات. وكما نعلم أنه « "الأيديولوجيا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا باللغة ؛ لأن استخدام اللغة هو أبسط أشكال التعامل الاجتماعي. ومن هنا نعتمد على افتراضات العقل السليم. وتتم ممارسة السلطة في المجتمعات الحديثة بشكل متزايد من خلال الأيديولوجيا وخاصة من خلال الوظائف الأيديولوجية للغة. [42]

في قصة (الأفق وراء البوابة) استعيرت عبارة (مدينة النار) لوجه نائم وبلاروح يعيش منفى مدينة "عكا" اليهودية حيث تعاني شخصية القصة من البُعد عن مولده وأمه: «كانت العتمة قد بدأت تبسط كفها فوق المدينة النائمة»[43]

2-3. دراسة الرو اية في مستوى التفسير

ردا على السؤال المتعلق بالسياق الظرفي، لابد لنا أن نقول إن هذه المجموعة قد تكونت من عشرة قصص قصيرة مع مجموعة من الشخصيات الرئيسية والفرعية. والموضوع الرئيس لهذه الرواية هو الشخصية الفلسطينية خارج الأرض المحتلة وداخلها، أما قصة (أرض البرتقال الحزين) فتشكل المحور الرئيس في هذه المجموعة. «في هذه الرواية، القصة الرئيسة هي سرد لحياة الراوي نفسه في الهجرة من أرضه وتهجيرأهاليها بعد هجوم الصهاينة في سنة 1948م»[44]

في هذه القصة، تمثل الشخصيات آلام .معاناة إنسان فلسطيني يعيش في المنفى، وبعبارة أخرى تحلل زمن كنفاني نفسه. ويشير سياق الرواية الظرفي والاجتماعي إلى الوضع السياسي والاجتماعي المتأزمة وغير المواتي الذي قد تسببت في تكوين نوع خاص من الخطاب. المجتمع الذي يصفه كنفاني مجتمع فوضوي ومتأزم و غير مثالي وغالبًا ما تكون موضوعاته الرئيسية هي الوضع الفوضوي للحرب والقمع ولاطلم ضد الشعب الفلسطيني المضطهد الذي يعيش تحت ظروف قاسية بسبب الهجرة والتشرد الناتج عن سلطة القوات المعتدية. لكن القاسم المشترك والهدف النهائي لكل منهم هو محاربة الصهاينة والأعداء. في هذه المجموعة يمكن مشاهدة أمل النصر لفلسطين لكن في النهاية، مع هزيمة العرب من إسرائيل في 15 حزيران يونيو 1967 ، يتحول هذا الأمل إلى يأس. «وهناك قعد أبوك على الشرفة الصخرية العالية يبتسم

لأوّل مرّة ... وينتظر اليوم الخامس عشر من أيار كي يعود في أعقاب الجيوش الظافرة ... وأتى يوم 15 أيار بعد انتظار مُرّ...»[45]

يشير الراوي في ثنايا القصة إلى قضايا فلسطين التاريخية، بما في ذلک كارثة 1948م وأحداث منتصف يونيو وجرائم الكيان الصهيوني. من أهم مضامين القصة، اعتداء العدو على أرض فلسطين وتشريد الناس وانهيار بيوتهم وانتشار ظاهرة الهجرة، والظلم الطبقي وتصوير الظلم المثير للألم. تعكسهذه الرواية أثر الحرب في فلسطين وآثارها السلبية في حياة الناس، بما فيه الهجرة والبطالة والفقر وانخفاض الدخل.

العاملون والمشاركون في هذه القصة هم الشعب الفلسطيني المظلوم الذي اضطربت حياته تحت وطأة حرب القوات الصهيونية وعانى من الفوضي وظروف الحياة القاسية، و تحرَّک للدفاع عن كيانهم وأرضهم وحاول من أجل حريت موطنه. الشخصيات الموجودة في القصة خاضوا – عن قصد أو بغير علم – في صراع شديد وطويل لإنقاذ أنفسهم من القوة التي تنزل الشخص إلى مكانة ذات ضعيفة ليست لها أي ارادة. وفي هذا الصدد يستخدومون إستراتيجياتهم الخاصة سواء كانت في مجال سلطة اللغة والأدب أو في مجال العناصر غير الخطابية.

في سياق هذه القصة الخطابي، أولا و قبل كل شيء، تعطينا الخصائص الشكلية للنص دليلا على أن الخطاب المسيطر هو خطاب آلام . معاناة الشعب الفلسطيني المظلوم كظاهرة اجتماعية، ثم وفي المرحلة الثانية، تصور خطابا سياسيا – اجتماعيا ووجود كلمات مثل: (الديدان) و(الصراصير) و(الموت) و(الكفن) و(التشريد) و... يدل على الأجواء الحزينة و القمعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني خلال سنوات اغتصاب أرضه بأيدي المحتلين، كما أنها بمثابة القرائن التي تكشف عن وجود خطاب اجتماعي سياسي في هذه الرواية. الخطاب السائد هو خطاب النضال ضد الحرب، وخطاب البكاء والنحيب على قضايا الشعب الفلسطيني، والخطاب الحاكم هو خطاب النضال ضد الأعداء الذين تسببوا في فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية في مسيرة حياة الناس، ولكنفاني بوصفه منتجا ومبدعا للنص لديه فكر نشأ من الوضع السياسي والاجتماعي و أنه يعيد بناء جميع الأنواع الاجتماعية مثل الفقر وانعدام العدالة وعدم الاستقلال السياسي والاجتماعي، اعتداء العدو المحتل، في شكل مفاهيم جديدة.

3-3. دراسة الرو اية في مستوى الشرح

ردًا على سؤال فيركلف: ما نوع علاقات القوة الفعالة في تشكيل هذا الخطاب على مختلف المستويات المؤسسية والاجتماعية والموقفية؟ يجب علينا أن نقول: في هذه القصة، تكون القسوة والظلم والفقر والسرقة والفجوة الطبقي من وظائف المؤسسة الحكومية المعتدية، مما تسبب في تشكيل خطاب المقاومة

في النص. يعتقد الكاتب فإن اغتصاب الأراضي الفلسطينية من قبل المغتصبين الصهاينة أو الأعداء هو السبب الرئيسي في ذلك.

في هذه الرواية ، لا يمكن لشخصيات القصة المقاومة أمام الفاعلين الذين استولوا على حياتهم استيلاء قويا، والحكام الخارجية والداخلية هم الذين يتمتعون بالسلطة كسلطة اجتماعية، ومؤلف القصة الذي يعد هو من الشخصيات الشعبية في الرواية، شخصية مناهضة للقوة ضد المستعمرين أو الأعداء الداخليين، وجميع شخصيات القصة تلعب دور المقاتل والناقد.

تسببت هيمنة الجماعات السياسية الاجتماعية غير الشرعية على ممارسة السلطة في عدم المساواة والانحراف عن القيم السائدة. يمكن رؤية أمثلة على تأثير القوة في الاستخدام الأيديولوجي للغة ، والذي تم ذكره بوضوح في جمل أصحاب السلطة. "تُمارَس السلطة من خلال الإكراه بطرق مختلفة مثل العنف الجسدي، ومن خلال تحقيق الموافقة أو على الأقل، الاستسلام والموافقة مع الإكراه، والأيديولوجية هي الأداة الأساسية لتحقيق الموافقة".[46] كما يمكن رؤية تأثير هذا النوع من الخطاب في النضالات العامة للشعب. في هذه القصة ، يشكك المؤلف بحزم في حالة المجتمع الراهنة ولا يمكنه تحملها، ولهذا السبب ، يكشف أحيانًا ويخفي أحيانًا نضالاته لتغيير الوضع السيء. لكنه لا يستطيع وقف انتقاداته بأي شكل من الأشكال. وقد ركز جل اهتمامه على الكوارث والأضرار والخسائر التي لحقت بفلسطين؛لأن أرض فلسطين كانت في حالة فوضى بسبب الغزو المكثف للقوات الصهيونية المغتصبة، وعانت كثيرا من القوات المغتصبة.

في هذه القصة، تتمتع مجموعات القوة الاجتماعية والأشخاص الأكثر قوة بسلطة خطابية أكثر. واستطاعت القوى الصهيونية المغتصبة ، بالاعتماد على قوتها ونفوذها السياسي السيطرة على الشعب الفلسطيني وإخضاعه لسيطرتها. وفي هذا الصدد، يستخدمون استراتيجياتهم الخاصة سواء في مجال قوة اللغة والأدب أو في مجال العناصر غير الخطابية. وهذا ما يشير إليه فان ديك بقوة التحكم في السلطة. يعتقد فان ديك أن القوة تمتلك أدوات التحكم ؛"أي أن هناك جماعة قوية تقيد حرية الآخرين وتؤثر أيضًا في أذهانهم. لذلك، بالإضافة إلى التحكم في أداء الناس من خلال الأعمال العنيفة - على سبيل المثال ، يمكن رؤيتها في تصرفات الشرطة ضد المتظاهرين أو تصرفات الرجال ضد النساء - هناك قوة جديدة وأكثر فاعلية تسمى القوة المعرفية ، والتي تؤثر في آراء وأفكار الآخرين من خلال تطبيق استراتيجيات الإقناع أو الإجماع في الخطاب.[47] على سبيل المثال يمكن الإشارة إلى قصة "أبعد من الحدود": «لقد حاولتم تذويبي يا سيدي! حاولتم ذلك بجهد متواصل لا يكلّ ولا يملّ يا سيدي. هل أكون مغرورا فأقول بأنكم لم تفلحوا؟... إن تذويبَ مليون إنسان معا ثم جعلهم شيئاً واحدا متوحدا ليس عملا سهلا، ... لقد افقدتم أولئك المليون صفاتهم الفردية المتميزة ..... أنتم الآن أمام حالة... فإذا خطر لكم أن تسموها لصوصية،

فإنهم لصوص.. خيانة؟ كلهم، إذن خونة!»[48] في هذه القصة تخضع الشخصية لمطالب المفتشين الصهاينة بحيث يؤثرون في هويتها وأفكارها تأثيرا قويا. ومن أجل تحقيق مصالحهم الخاصة ويجعلونها كائنة ليست لها أى اختيار وإرادة. و يمكننا حتى أن نرى تأثير هيمنة الخطابات الرسمية على إعادة إنتاج الخطاب من خلال شخصية القصة بحيث يفقد الشعب الفلسطيني هويته الوطنية والإنسانية - التي تشكل أساس استقلالهم- تحت تأثير سياسات المحتلين. في نظر شخصية القصة، أصبح الرجل الفلسطيني سلعة للتجارة في أيدي المعتدين ، وتسيطر عليه جماعات الهيمنة بقوتها وإرادتها «أنا كفرد مجرد خنزير، وأنا كجماعة حالة ذات قيمة تجارية وسياحية وزعامية»[49]

4. الخاتمة

من خلال دراسة وتحليل رواية "أرض البرتقال الحزين" في ضوء نظرية تحليل الخطاب النقدي لفيركلف، توصلنا إلى النتائج التالية:

هذه القصة قصة سياسية تاريخية. لقد تحدث الكاتب بصراحة عن حالة الفوضى والظلام التي يعيشها الفلسطينيون، واضطراباتهم وتهجيرهم ، ومن خلال استخدام الأدوات اللازمة حاول إظهار أيديولوجياته وخطاباته بطريقة فعالة وعملية.

أفكار كنفاني هي نتيجة العلاقة بين اللغة والأيديولوجيات التي تحكم قصته. على مستوى الوصف ، فإن علاقات المجاورة والتباين الدلالي والمعاني المجازية والاستعارية وعلاقتها ببعض الكلمات، وكذلك السمات الرسمية والمعرفة الخلفية ، تعبر في الواقع عن نوع الأيديولوجية التي تحكم ذهن المؤلف.

بما أن هذه الرواية تتمحور حول أهم القضايا الفلسطينية أي الحرب والتشرد والتهجير وتدهور الأوضاع العامة، فجاءت لغتها رسمية وبعيدة عن أي غموض وتعقيد وإبهام وتوافقت بنية الجمل مع اللغة المعيارية الرسيمية.

على مستوى التفسير، تمنح الميزات الشكلية القارئ القرائن اللازمة لنقلها إلى السياق والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية. بعبارة أخرى، تمكن كنفاني من إقامة صلة بين النص وسياقه. بحيث يكون أحد المشاركين في القصص هو نفسه. على مستوى الشرح يهدف كنفاني إلى التشكيك في البني الاجتماعية كعلاقات قوة باستخدام وساطة المعرفة السياقية، ويصوّر جشع المعتدين في مواضع عديدة من القصة، حيث يمكن مشاهدة التأثير الواضح لسلطة الخطابات الرسمية في إعادة إنتاج خطابات بعض الشخصيات في القصص ، وتأثير القوة في أداءها.

- المصادروالمراجع:

1. اعظم استاجی و آخرون، «بررسی استعاره‌های مبتنی بر نام حیوانات در ادبیات دفاع مقدس»، نشریة ادبیات پایداری، سال دهم، شماره 18، صص 1-24، 1397ش.

2. توفيق رفيق محمد، الواقعية في أدب غسان كنفاني، رسالة الماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983م.

3. جهانگیر جهانگیری، «زبان، قدرت و ایدئولوژی در رویکرد انتقادی نورمن فرکلاف به تحلیل گفتمان»، فصلنامة پژوهش سیاست نظری، صص 57-82، 1392ش.

4. ژان شوالیه و آلن گربران، فرهنگ نمادها، ترجمه و تحقیق: سوادبه فضایلی، تهران: جیحون. 1385ش.

5. علی قاسم‌زاده و مصطفی گرجی، «دکتر نون زنش را بیشتر از مصدق دوست دارد»، ادب‌پژوهی، ش 17، صص 33-63. 1390ش.

6. غسان كنفاني، أرض البرتقال الحزين، قبرص: دار منشورات الرمال. 2013م.

7. فردوس آقا گل‌زاده، «تحلیل گفتمان انتقادی و ادبیات»، ادب‌پژوهی، دورة 1، ش 1، ص 17-27. 1386ش

8. فردوس آقاگل‌زاده و زهرا عباسی، «بررسی وجه فعل در زبان فارسی بر پایة نظریة فضاهای ذهنی»، ادب‌پژوهی، ش 20، ص 135-154. 1391ش.

9. ماجدة حمود، جماليات الشخصية الفلسطينية لدى غسّان كنفاني، دمشق: دار المنير. 2005م.

10. ماریان یورگنسن و لویز فیلیپس، نظریه و روش در تحلیل گفتمان انتقادی، ترجمة هادی جلیلی، چ ششم، تهران: نی. 1395ش.

11. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة. 2016م

12. نورمن فرکلاف، تحلیل گفتمان انتقادی، ترجمة فاطمه شایسته پیران و دیگران، تهران: مرکز مطالعات و تحقیقات رسانه. 1379ش.

13. ویلیام بی‌من، زبان، منزلت و قدرت در ایران، ترجمة رضا مقدم‌کیا، تهران: نی. 1386ش.

14. Fairclough, N. Language and Power, London: Longman. 2001.

---

1. جهانگیر جهانگیری، «زبان، قدرت و ایدئولوژی در رویکرد انتقادی نورمن فرکلاف به تحلیل گفتمان»، فصلنامة پژوهش سیاست نظری، صص 57-82، 1392ش، 53.

2. نورمن فرکلاف، تحلیل گفتمان انتقادی، ترجمة فاطمه شایسته پیران و دیگران، تهران: مرکز مطالعات و تحقیقات رسانه. 1379ش، 19.

3. ماریان یورگنسن و لویز فیلیپس، نظریه و روش در تحلیل گفتمان انتقادی، ترجمة هادی جلیلی، چ ششم، تهران: نی. 1395ش، 109.

4. فردوس آقا گل‌زاده، «تحلیل گفتمان انتقادی و ادبیات»، ادب‌پژوهی، دورة 1، ش 1، ص 17-27. 1386ش، ٤١.

5 .Fairclough, N. Language and Power, London: Longman. 2001, P 12..

6. فردوس آقا گل‌زاده، المصدر السابق، 42.

7. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة. 2016م، 153 و 154.

8. نورمن فركلاف، تحليل گفتمان انتقادی، 215.

9. نورمن فركلاف، تحليل گفتمان انتقادی، 215-245.

10. نورمن فركلاف، تحليل گفتمان انتقادی، 245-250.

11. نورمن فركلاف، تحليل گفتمان انتقادی، 180..

12. غسان كنفانی، أرض البرتقال الحزين، قبرص: دار منشورات الرمال. 2013م، 13 .

13. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، 160.

14. غسان كنفانی، نفس المصدر، 13-14.

15. غسان كنفانی، نفس المصدر، 14.

16. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، 160.

17. غسان كنفانی، نفس المصدر، 73- 75..

18. غسان كنفانی، نفس المصدر، 24.

19. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، 173.

20. فردوس آقاگل‌زاده و زهرا عباسی، «بررسی وجه فعل در زبان فارسی بر پایة نظرية فضاهای ذهنی»، ادب‌پژوهی، ش 20، ص 135-154. 1391ش، 136و137..

21. غسان كنفانی، نفس المصدر، 107.

22. غسان كنفانی، نفس المصدر، 88.

23. غسان كنفانی، نفس المصدر، 91 .

24. غسان كنفانی، نفس المصدر، 17.

25. علی قاسم‌زاده و مصطفی گرجی، «دکتر نون زنش را بیشتر از مصدق دوست دارد»، ادب‌پژوهی، ش 17، صص 33-63. 1390ش، 50..

26. غسان كنفانی، نفس المصدر، 40.

27. غسان كنفانی، نفس المصدر، 9 .

28. غسان كنفانی، نفس المصدر، 107.

29. غسان كنفانی، نفس المصدر، 83-84.

30. ویلیام بی‌من، زبان، منزلت و قدرت در ایران، ترجمة رضا مقدم‌کیا، تهران: نی. 1386ش، 216 .

31. غسان كنفانی، نفس المصدر، 16.

32. نورمان فيركلف، اللغة والسلطة، 164 و 165 .

33. ژان شوالیه و آلن گربران، فرهنگ نمادها، ترجمه و تحقیق: سوادبه فضایلی، تهران: جیحون. 1385ش، 2: 184 و 185..

34. غسان كنفانی، نفس المصدر، 58.

35. توفيق رفيق محمد، الواقعية في أدب غسان كنفانی، رسالة الماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983م، 110 .

36. غسان كنفانی، نفس المصدر، 66.

37. غسان كنفانى، نفس المصدر، 66- 67.
38. اعظم استاجى و آخرون، «بررسى استعاره‌هاى مبتنى بر نام حيوانات در ادبيات دفاع مقدس»، نشرية ادبيات پايدارى، سال دهم، شماره 18، صص 1-24، 1397ش ، 9..
39. غسان كنفانى، نفس المصدر، 38.
40. غسان كنفانى، نفس المصدر، 102.
41. غسان كنفانى، نفس المصدر، 104.
42. فردوس آقا گل‌زاده، «تحليل گفتمان انتقادى و ادبيات»، 44.
43. غسان كنفانى، نفس المصدر، 23.
44. ماجدة حمود، جماليات الشخصية الفلسطينية لدى غسّان كنفانى، دمشق: دار المنير. 2005م، 7-8..
45. غسان كنفانى، نفس المصدر، 88.
46. فردوس آقا گل‌زاده، «تحليل گفتمان انتقادى و ادبيات»، 44.
47. فردوس آقا گل‌زاده، «تحليل گفتمان انتقادى و ادبيات»، 47.
48. غسان كنفانى، نفس المصدر، 15.
49. غسان كنفانى، نفس المصدر، 17.